ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: http://www.jtuh.tu.edu.iq

Cognitive Integration Between Language and Society: a Descriptive Study

Asia amrani

Larbi Tebessi University, Algeria
College of Literature and Arabic Language

* *Corresponding author: E-mail* : ameraniassia@gmail.com

رقم الهاتف : 00213556704474

***Keywords*:**
Linguistics _
cognitive integration _
sociology _
Ferdinand de Saussure _
Durkheim email _
sociolinguistics

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 4 July. 2021
Accepted 17 Aug 2021
Available online 25 Jan 2022
E-mail
journal.of.tikrit.university.of.humanities@tu.edu.i
E-mail : adxxxx@tu.edu.iq

A B S T R A C T

There is no doubt that the idea of cognitive integration between knowledge and science has become one of the necessities of scientific research in our modern age, when sciences open up to each other, grow and correspond to each other. Ideas move from one scientific field to another, in pursuit of a deep holistic vision, scrutiny of research and extracting solutions based on the hypotheses and problems raised in each research field. The great dispersion of knowledge imposed on man a way of living lost among the excessive particles of divided knowledge instead of focusing on the whole, and he is no longer able to absorb the knowledge of the ancients in its total and comprehensive form. And in an effort to rebel against colleges and bring about change, and to try to lure scientific research to take advantage of knowledge integration through the efforts of thinkers, through the successive eras of time. And inspiration from the other, so that the process of building and benefiting from the experience of the previous generation with the idea of cognitive integration between sciences, what is the limit of cognitive integration and its principles? And what is the relationship between sociology and linguistics or linguistics?

© 2022 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.29.1.1.2022.16

التكامل المعرفي بين اللغة والمجتمع دراسة معرفية وصفية

باحثة دكتوراه: آسيا عمراني/ جامعة العربي التبسي/ الجزائر/ ركلية الأدب واللغة العربية

الخلاصة:

لا مراء في كون فكرة التكامل المعرفي بين المعارف والعلوم قد أضحت ضرورة من ضرورات البحث العلمي في عصرنا الحديث ، حيث تنفتح العلوم على بعضها البعض ، وتتنامى وتتناظر فيما بينها ، وتتنقل الأفكار من حقل علمي الى اخر ، سعيا لتحقيق رؤية شمولية عميقة ، وتدقيق البحث واستخلاص الحلول وانطلاقا من الفرضيات والاشكاليات المطروحة في كل مجال بحثي ، فالتشتت الكبير للمعرفة

فرض على الانسان طريقة للعيش تائها بين فرط جزئيات المعرفة المقسمة بدل التركيز على الكل ، ولم يعد بمقدوره استعاب معارف الاولين في شكلها الكلي الشمولي ، وسعيا منه للتمرد على الكليات وإحداث التغيير ، ومحاولة استدراج البحث العلمي للاستفادة من التكامل المعرفي من خلال جهود المفكرين ، عبر الحقب الزمنية المتلاحقة ، والاستلهام من الآخر ، بحيث تتم عملية البناء والاستفادة من خبرة الجيل السابق بفكرة التكامل المعرفي بين العلوم ، فماهو حد التكامل المعرفي ومبادئه ؟وما العلاقة التي تربط علم الاجتماع بعلم اللغة او اللسانيات ؟

الكلمات المفتاحية : علم اللغة _ التكامل المعرفي _ علم الاجتماع _ فرديناند دي سوسير _ دوركايم ايميل _ اللسانيات الاجتماعية .

مقدمة

إن للمصطلحات موقعا واضحا في الكتابات الفكرية والثقافية ،حيث نجد مصطلحات تستخدم بدلالات مختلفة ، وهو الحال مع مصطلح التكامل المعرفي ، ذلك لان المصطلح يستخدم في كثير من الأحيان ويعني به الرد الموسوعي ،والعالم بكل العلوم والملم بها معرفة وثقافة ،ومن ذلك نجد بعض علماء العرب والمسلمين اللذين اتصفوا بالموسوعيين في اللغة والأدب والفقه وعلوم القران ، وعلوم الحديث والفلك والطب والرياضيات ، اذ يعد الإمام الطبري مفسرا ، ومؤرخا وفقيها ، وعالم لغة وشعر ، وابن خلدون الذي ينسب له علم الاجتماع ، وابن سينا فهو الفيلسوف ،وابن تيمية الذي كتب في الفقه والأصول والسنة والتصوف والمنطق وغيرهم،وقد اتصف هؤلاء بظاهرة الإبداع في كثير من العلوم ،وهم من القدماء ، على خلاف التاريخ الإنساني الحديث ، الذي تميز بالتخصص في المجالات العلمية ، وذلك للتوسع الكبير في العلوم والتطور المذهل للوسائل العلمية والبحثية ، وكل ذلك جعل العالم الفرد غير ميسور في الإلمام بكل العلوم ، لان العلم الواحد قد يتجزأ ويتفرغ الى علوم عديدة ومتشعبة ، وقد ظهر التميز والتفريق بين العلوم الانسانية والعلوم الطبيعية والتطبيقية في منتصف القرن العشرين ، وذلك لان كل منهما لا علاقة لها بالثقافة الأخرى ، وقد"دعا بعض الحكماء والعلماء قديما إلى التكامل بين العلم والعمل ، واكد ابن رشد على إمكانية الاتصال بين الحكمة والشريعة ، وأكد ابن تيمية على التكامل ، ورد التعارض بين صحيح المنقول وصحيح المعقول "[1] ، وتلاها محاولات أخرى وظهرت في قرن العشرين ، كحاجة الفيزياء مثلا للرياضيات والبيولوجيا الى الكيمياء ، فظهرت العلوم البينية ، وطرحت أفكار تتعلق بالتكامل بين الدين والعلم ، وبين التربية والتعليم ، وذلك لبناء المداخل في المناهج التعليمية

فمما لا شك فيه أن فكرة التكامل المعرفي بين العلوم ، أضحت في أكثر الموضوعات الحاحا في الأوساط العلمية ، والأكاديمية وذلك لتجزئة المعارف بين المجالات المختلفة ، وظهور التخصصات والتخصصات المعمقة الأكثر تجزئة ، وهو مادعا إلى إعادة مد جسور التواصل بين العلوم ولعل التداخل ، والتكامل بين العلوم العربية ، دليل على ذلك اذ أن النظريات اللغوية لا تنفصل عن الأدب ونقده وطرائق تحليل خطاباته

وبما أن التكامل المعرفي هو الإدراك التام الواعي للحقائق المتصلة بالوجود الإلهي والكوني والانساني ، وما ينتظم به من سنن وما ينشأ عنه من علوم ومعارف ، فان له مجالات تشمل ميادين الحياة العلمية والاجتماعية والسياسية ...، وله مقاصد من أبرزها تصحيح مفاهيم الأجيال حول الرؤية الكونية التي تفسر مظاهر الوجود ، وتصحيح مسار العلوم الإنسانية ، والاجتماعية والطبيعية

1_في مفهوم التكامل المعرفي ومبادئه

التكامل المعرفي مصطلح مركب وصفي يقتضي التعريف بشقيه :"التكامل"، و"المعرفي "، أما التكامل فأصله من الفعل كمل ، وتدور مادة هذا الفعل حول التمام والجمال ، جاء في مختار الصحاح : "تكامل الشيء ، كمل ، والتكميل :الاكمال والاتمام "[2]

وجاء في لسان العرب :" تكامل الشيئ وأكملته أنا ، وأكملت الشيئ، أي أجملته و أتممته ، وأكمله هو واستكمله وكمله :أتمه وجمله"[3] ، أي أن التكامل له اعتبارات مادية ومعنوية ، تعني تمام الشيئ وخلوه من كل نقص ، باضافة الى احتوائه على معاني الحسن والجمال ومواصفاته

أما المعرفة ،" فتعود في أصل اشتقاقها الى الفعل الثلاثي عرف ، والمعرفة كما في مفردات الراغب :ادراك الشيئ بتفكر وتدبر لاثره ، وهو أخص من العلم ، ويضاده :الانكار ..."[4]

في ظل ذلك يتين ان المعرفة هي عملية ادراك تستند الى الفكر ، وتستلزم أن يتحقق مقصودها ، بان تتكامل في تصور الفرد والأمة وفق رؤية كلية ، والتكامل المعرفي يعني الادراك التام الواعي للحقائق المتصلة بالوجود الإلهي والكوني والإنساني ، وما ينتظم به من سنن ، وما ينشأ عنه من علوم ومعارف ، وتظهر به الآثار العلمية والجمالية للمعرفة في ربطها أجزاء ذلك الوجود، وينعكس ذلك على واقع المعرفة حين يحدد خط سيرها الذي يكشف ان لا معرفة مثمرة يمكن أن تنشأ وتقوم دون أن تستند الى الحقيقة المطلقة المتمثلة في وجود الله ، التي تشكل المرجعية الكلية لها ،وكل حقيقة تكتشفها المعرفة لا قيمة لها ان لم تتصل بهذه الحقيقة المهيمنة

واستند بعض الباحثين إلى الرؤية القائلة بأن التكامل المعرفي ، هو تكامل مصادر المعرفة وهما : الوحي والوجود ، وتكامل أدوات المعرفة وهما : العقل والحس ، وتكامل مصادر المعرفة وأدواتها ، وعليه فان استمداد المعرفة من الوحي يتطلب عمل كل من العقل والحس معا ، واستمداد المعرفة من الوجود يتطلب عمل كل من العقل والحس معا[5]

والحديث عن التكامل المعرفي نطاقه واسع وشامل لأن هناك تكامل بين المصادر نفسها وبين الأدوات ، وتكامل في الطبائع والوقائع ، والمثل والقيم ، وتكامل بين العلم والعمل ، وتكامل بين الحقيقة والشريعة ، والتكامل بين عالم الشهادة وعالم الغيب ، وتكامل بين الدين والدنيا ، وتكامل بين النقل والعقل ، وغيرهما من الصور التكاملية ، فالتكامل المعرفي هو التالف والانسجام بين العلوم الدينية من جهة والعلوم الطبيعية والإنسانية من جهة أخرى .

ويعد مبدأ التوحيد هو الأساس ، والأصل الذي تنطلق منه فكرة تكامل المعرفة البشرية في مرجعية واحدة ، هي الله سبحانه وتعالى ، سواء أوحي الله تعالى بهذه المعرفة عن طريق الرسل والكتب المنزلة ، واوهبها لخلقه عن طريق الاكتساب أو الكشف من خلال التعامل مع الكون الذي نعيش فيه فهما وتسخيرا .

ويحمل التكامل المعرفي دلالة التداخل بين العلوم والتفاعل بينها ، مما أثار اشكالية حول ملازمة هذا المصطلح ، نظرا لتقاطعه مع مصطلحات أخرى (العبر معرفية ، تشابك التخصصات ، التعالقية المعرفية ، التعددية المعرفية)، " فالجمع بين التخصصات يمكن ان نعني به التبادل والتعاون بينها ، بحيث يصبح يشير التداخل بين التخصصات الى ماهو عضوي "[6]

وبالنظر الى بعض المعاجم اللغوية ، حيث نستقرأ المعنى اللغوي للكلمة ، فإنها تعني وجود اشتراك "حلقتين أساسيتين لا ثالث لهما أحدهما دال على جميع المعارف والتخصصات والموارد التعليمية ، والثاني له علاقة بالسلوك الجماعي أو الفردي وما يرتبط بذلك من الانضباط لقواعد السلوك "[7] ، وعليه فان التكامل المعرفي يحصل نتيجة تضافر آليات بين التخصصات المتجاورة ، وأن المعرفة تمثل مستوى التفكير الإنساني ، الذي يتسم به التراكم والتغيير والتطور ، تبعا لدرجة نشاط العقل ووعية بضرورة إيجاد وشائج الصلة بين التخصصات .

ولا يأتي التكامل المعرفي إلا إذا قامت الدراسة على فكرة اتساع الأفق في الطرح والمسألة ، مع التزام الموضوعية في طريقة المعالجة للظواهر والتأصيل لها بالحجة والمنطق ،وفتح اشكالات البحث على مدارك

العلوم بعيدا عن ثقافة عزل المعارف عن أصولها وفروعها ، ويجمع التكامل بين القواسم المشتركة والمسالك المتقاربة بين المعارف ، ويشمل المبادئ والطرق المنجزة لتحقيق التوحيد والشمولية في المعرفة ، كما هو الحال في بعض العلوم التي ينطبق عليها مفهوم العلوم المتعارفة (كالحديث ،والتفسير والفقه والتصوف والكلام)[8]

وهذه العلوم كان واجب على جميع علماء الثقافة العربية الإلمام بها جميعا ، وذلك ليكون بحثهم تاما ومكتملا وبدقة عالية من التمحيص ، وبالنظر الى العلوم الإنسانية يتضح لنا التكامل بين علمي الاجتماع واللسانيات ، وكذلك التاريخ وغيرها من العلوم ، التي تكاملت فيما بينها ، وذلك لتأسيس نظريات علمية اعتبرت مرتكزا علميا ومنهجيا تستند اليه الدراسات اليوم .

إن استخدام مفهوم التكامل المعرفي في تقدم المعارف يحقق أهداف كثيرة ، تتفق مع ما يتميز به الفكر التربوي الحديث ، والذي يفيد الى مدى أهمية تقديم المعارف والخبرات بطريقة متكاملة ،لان ذلك يؤدي الى ديناميكية أكثر في التعليم من تقديمها بصورة منفصلة ، لذلك جاءت أهمية الربط بين المعارف والمفاهيم والخبرات في كل متكامل خاصة مع المعارف المتجددة ، ذلك أن مفهوم التكامل يقدم صورة أكثر شمولية للمعارف ، ويوضح كيف تترابط فروعه في كل ميادين المعرفة ، وكيف تتفاعل معا في كل واحد سواء أكان يعمل على الترابط بين المعارف والمفاهيم ، ذلك أن ابراز التكامل المعرفي يساعد على الارتقاء بالعملية التعليمية من خلال تحقيق انسانية المتعلم كلل متكامل ، وتحقيق مبدأ وحدة الهدف التعليمي الذي يعمل على النمو الشامل والمتكامل للمتعلم وتنمية طرق الابداع والابتكار والتفكير ،ومحاولة تخطي الزمكانية بين المعارف وأنواعها بحيث تنقل المعارف من قيد التقليد الى الفعالية والتقدم والتطور

ولتحقيق التكامل المعرفي لابد من اتباع مبادئ متنوعة هي :

_ تحقيق الترتيب المنطقي للمعارف ، وهذا يتحقق من خلال تنظيم الخبرات ضمن المعارف وفقا لمبدأ الترتيب المنطقي ،أي التدرج من السهل الى الصعب ، ومن البسيط المعلوم الى المركب المجهول ، وإحداث الترابط بين المراحل المختلفة

_ ومبدأ تحقيق وحدة المعرفة

_ ومبدأ تحقيق المرونة في اكتساب المعارف

مبدأ تحقيق واقعية المعرفة_

مبدأ تطوير المعارف _

2_ التكامل بين علم الاجتماع واللسانيات

تعد اللسانيات أو علم اللغة ،العلم الذي يدرس اللغة دراسة علمية " ويركز على اللغة نفسها مع اشارات عابرة الى قيم تاريخية وثقافية "[9] وقد ظهر هذا العلم وعرف في مطلع القرن العشرين ،"حيث اتخذ صورة متطورة لدراسة اللغة وشهد القرن العشرين "انبثاق الألسنية الوصفية علما مجتمعيا يحتوي على مصطلحات ومفاهيم واضحة ودقيقة "[10]

ويعود الفضل في ارساء دعائم اللسانيات ، وتحديد أسسها ومبادئها والياتها الاجرائية الى اللساني السويسري" فرديناند دي سوسير" ، وذلك حينما نشر كتابه المترجم الى اللغة الفرنسية بعنوان "محاضرات في اللسانيات العامة " وهي مجوعة من المحاضرات التي جمعها طلابه ، وقد احدث هذه المحارات التي عدت دراسة كسرت المألوف في الدرس اللغوي ثورة في دراسة اللغة في جميع أنحاء العالم ، حيث غيرت من مجرى الدرس اللغوي كل التغيير ، وتعدى الاهتمام بدراسة اللغة لذاتها ولأجل ذاتها العلماءاللسانيين واللغويين " لتشمل الفلاسفة وعلماء السيكولوجيا ، والسوسيولوجيا والمنطق الرياضي "[11]

وقد تطورت اللسانيات بفضل جهود علماء لغويين فضلا عن مؤسسها الأول دي سوسير ، وجهوده القيمة ، ومن هؤلاء (ادوارد سابير ، ليونارد بلومفيد ، نعوم تشومسكي في أمريكا ، وفيرث وجون لاينز في انجلترا، وشارل بالي ، ومخائيل ريفاتير في فرنسا ، ورومان جاكبسون ، ونيكولا تروبستكوي ،وجيسبرسن ، وهيلمسف في أوروبا وغيرهم ...

أما علم الاجتماع ، فقد تعددت تعاريفه ، ومن بين أهم التعاريف يعرفه "رنييه منييه "، "بأنه الدراسة الوصفية المقارنة التفسيرية للمجتمعات الانسانية ، بحسب ما تسمح به مشاهدتها في الزمان والمكان "[12]

وقد اختلف باحثو علم النفس في تعريفهم وتصورهم لعلم الاجتماع ، حيث يعتقد "جميس فاندر " ان " علم الاجتماع هو العلم الذي يدرس السلوك والتفاعل الانساني ، والذي يظهر في علاقة الأفراد بعضهم ببعض ، اذ يهتم بما يحدث بين الناس ، وما يمارسونه من نشاطات بين بعضهم البعض وبالعلاقات التي تنمو وتتطور فيما بينهم ، كما أنه يهتم بالمحافظة على تلك الروابط "[13]

ويطلق عليه ابن خلدون الذي يعد أول من اكتشفه علم العمران ، وذلك لربطه بالتاريخ ، ولأنه يهتم بالعمران البشري ، والسلوك الانساني ، ويعتبره علما واسعا ، حيث انه يشتمل على العديد من الأوجه، فهو يهتم بالبيئة وتأثيرها على حياة الأفراد وسلوكهم ، كما أنه يدرس حياة البدو والحضر ، ويهتم بالدولة وماهيتها ، ونشأتها وأسباب تقدمها أو تأخرها "[14]

لقد ولد علم الاجتماع من رحم الظروف التاريخية الخاصة بالمجتمع الغربي الأوروبي ، وتبنته الفلسفة التي ثارت على الفكر الكنيسي ، فالنشأة الأوروبية لعلم الاجتماع ، ترجع الى طبيعة الأوضاع المجتمعية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية التي مر بها المجتمع الغربي الأوروبي ،وارتباط نشأة علم الاجتماع بأزمة الرأسمالي والتحول من النمط الاقطاعي الى النمط الرأسمالي الحر .

وكان لعلم الاجتماع دراسة وقراءة اجتماعية للواقع المجتمعي الغربي ، ورغم كون هذا العلم أوروبي المنشأ ويتسق وينسجم مع واقع هذا المجتمع معبرا عن مشكلاته ، بحيث يعمل جاهدا لبنائه ومعالجة مشكلاته لضمان استقراره وتوازنه لكن ذلك لم يمنع من امتداد نشاطه حول العالم ، وخاصة العالم العربي ، بمرجعياته التاريخية والفكرية والمجتمعية التي تتباين مع خصوصيات المجتمع والثقافة الغربية ، "فمن يقرأ لماركس فيبر، ومنهايم، يقرأ التاريخ الاجتماعي والثقافة الأوروبية ، وكذلك بالنسبة للبحوث الأجنبية فانه تسهل تحديد هويتها النظرية والوظيفية مادية او تاريخية ، اذ تكشف مباشرة عن فحو الدراسة ان أرادت التوفيق بين الاتجاهات النظرية ، أو ترفض التنظير فتنطلق من الواقع ، على خلاف ذلك في الأوساط العربية ، فعند قراءة دراسة عربية يراودك الشك في معرفة اتجاه كاتبها واتقانه لأبجديات البحث السوسيولوجي ودور النظرية فيه "[15]

وبالتالي فان علم الاجتماع هو " دراسة المجتمع الانساني أو التفاعلات الاجتماعية أو السولوكيات الاجتماعية أو العلاقات الاجتماعية فهو المدرسة العلمية للمجتمع "[16]

3_ العلاقة بين اللغة والمجتمع

تعد اللغة هي العنصر الأساسي التي تعمل بوجهين ، إما على الحفاظ على وحدة وتماسك المجتمع من خلال أداء دورها كأداة ربط بين جيل وجيل ، والكشف عن عادات وتقاليد المجتمع، ومستوياته الثقافية ، وإما تؤدي إلى انهيار المجتمع نتيجة اشكالية التواصل اللغوي داخل المجتمع باعتباره الركيزة الأساسية في عملية التواصل والتفاعل ، وعلى اثر ذلك أصبحت اللغة من أكثر الظواهر الانسانية تشعبا وتقيدا ، على

اعتبارها نظاما معقدا من الرموز التي تحمل في طياتها معاني مختلفة ،اذ تعد من أهم المنافذ المستخدمة من أجل الولوج الى عمق الثقافة والبنية الاجتماعية ، لتكون بذلك واحدة من أهم العوامل الأساسية في تكوين وبناء المجتمع ، فتشارك بدور فعال في تحديد الهوية الجماعية للمجموعة البشرية التي تتحدث بها ، هذا الدي يؤكد على وجود علاقة تكامل بين علم اللغة وعلم الاجتماع ، اي بين اللغة والمجتمع ، فهما وجهان لعملة واحدة .

كما أن اللغة تعد أهم مدخل لدراسة الانسان والمجتمع ، فالانسان يولد مزودا بجهاز النطق وأعضائه ، ولديه الاستعداد الفطري للقدرة على الكلام ، فهو لايستطيع النطق الا اذا كان يعيش في مجتمع ما ، مع أن الانسان مستعد بفطرته للكلام ، فلا يظهر أي اثر لذلك الاستعداد الا في المجتمع الانساني "[17]

والبحث في علاقة اللغة بالمجتمع من خلال التكامل المعرفي بينهما بلور ما يعرف بعلم اللغة الاجتماعي ، الذي يهدف إلى دراسة علاقة اللغة بالمجتمع ، واعتبارها علاقة تأثير وتأثر وبمعني أخر هو البحث في كيفية تأثير اللغة في المجتمع ، وكيف يؤثر هو فيها، على هذا الأساس يعرف علم اللغة الاجتماعي دراسة للغة في علاقتها بالمجتمع "[18] ، يقول اللغوي "فندريس" "فما الأداة التي يمكن أن تكون أكثر كفاءة من اللغة في تأكيد خصائص الجماعة ؟ اذ هي في مرونتها ويسرها وامتلائها بالظلال الدقيقة للمعاني تصلح لاستعمالات متشعبة ، وتقف موقف الرابطة التي توحد أعضاء الجماعة ، فتكون العلامة التي بها يعرفون ، والنسب الذي اليه ينتسبون "[19]

وقد تاثر رائد اللسانيات الحديثة ، دي سوسير ، برائد علم الاجتماع الحديث " ايميل دوركايم" حيث عاصر كلاهما الاخر ، وكان تاثيرهما في بعض جليا ، وفي كثير من الأفكار العلمية حيث أكد" دي سوسير "أن الكلام البشري انما هو ظاهرة اجتماعية ، وتساءل بعد ذلك قائلا : ولكن هل ينبغي تبعا لذلك أن ندمجها في صلب علم الاجتماع ؟ وماهي الصلات الموجودة بين الألسنية وعلم النفس الاجتماعي ؟ فكل مافي اللغة في نهاية الأمر نفسي ، وتدخل في ذلك مظاهرها المادية والميكانكية مثل تغير الأصوات ، واذا كانت الألسنية توفر لعلم النفس الاجتماعي معطيات على هذا القدر من القيمة ، افليست ملتحمة به التحاما عضويا"[20]

كما عد دي سوسير أن اللغة مؤسسة اجتماعية واقترح أن " نتصور علما يدرس حياة الدلائل في صلب الحياة الاجتماعية ، وقد يكون قسما من علم النفس الاجتماعي "[21]

وقد اهتم علماء الاجتماع بقضايا اللغة ، في مستويات عدة من اللغة ، علم الأصوات ، والنحو والدلالة ، وتتمثل دراسة علم الاجتماع للغة في أوجه عديدة ، يمكن أن نوجزها فيما يلي :

_ وجود علاقة قوية بين اللغة والفاعل الاجتماعي ، حيث لولا وجود اللغة ما وجد المتكلمون ، اذ يقبع الانسان تحت ظل اللغة التي تعد وسطا للتعبير عن المجتمع الذي يعيش فيه

_ اللغة ظاهرة اجتماعية ، وهي جزء من نسق اجتماعي تصنعها طبيعة الاجتماع لا الأفراد ، ولا يمكن فهمها إلا في حدود وظائفها في المحافظة على النسق الاجتماعي ، قد عدها "دوركايم" نتاج العقل الجمعي .

_ يؤكد ابن خلدون على العلاقة الوطيدة وعلى التكامل الذي يجمع بين اللغة والمجتمع ، بحيث تتغير اللغة بتغير المجتمع ، كونها شديدة الصلة بالممارسة والاستخدام داخل المجتمع ، فهي نتاج اجتماعي انساني ، لذلك تتطور من خلال استعمالها وتختلف باختلاف المجتمعات ، فهي بذلك ملكة تكتسب من خلال التنشئة الاجتماعية[22]

_ تتصف اللغة كغيرها من الحقائق الاجتماعية بصفة السيطرة، والقهر فالأفراد يجبرون على الخضوع لها ، وهي بذلك فوق قدرة الفرد فلا يستطيع فرد ان يدعي القدرة على ابتكارها أو اختراعها .

وتكمن قيمة علم اللغة الاجتماعي في قدرته على ايضاح طبيعة اللغة بصفة عامة ، وايضاح الخصائص والحقائق المحددة للغة بعينها ، لان ادراك اللغة يزيد من القدرة على فهم المجتمع بطريقة صحيحة ودقيقة

تعد اللغة نظام معقد ناتج من ارتباط اللغة بالانسان ، وهذا الأخير متعدد الجوانب ما يجعل لغته ايضا تحمل هذه الصفة ،فاللغة يمكن النظر اليها من جوانب عديدة : جانب بيلوجي وجانب فيزيائي ، وجانب عقلي ، وجانب اجتماعي ، وجانب نفسي ، وجانب تاريخي ، وجانب فلسفي ، وجانب انثروبولوجي ، وتختلف نظرة كل جانب عن الأخر ، لذا أصبحت اللغة ضمن موضوعات هاته العلوم ، وقد نظر علماء اللغة الاجتماعيون الى اللغة من زاويتها الاجتماعية ، كون اللغة ظاهرة اجتماعية فأخضعوها لمناهج البحث الاجتماعي متاثرين في ذلك بعلم الاجتماع ، الذي يدرس الظواهر الاجتماعية وهذا جانب من جوانب علاقة التكامل بين علم اللغة وعلم الاجتماع وذلك باعتبار الوظيفة التواصلية هي الوظيفة الأساسية للغة ، فاللغة لها ثلاث وظائف اساسية هي الوظيفة النفسية وهي التعبير عن الأفكار ، والوظيفة الاجتماعية وهي التواصل بين الافراد ، والوظيفة الثقافية وهي كون اللغة مخزن للتجارب ، غير أن علماء

اللغة المحدثين المتأثرين بعلم الاجتماع قاموا بتقديم الوظيفة الاجتماعية عن بقية الوظائف الأخرى ، فجعلوا الوظيفة التواصلية هي الوظيفة الأساسية للغة وماعداها هي وظائف ثانوية ، فهؤلاء الاجتماعيون يأخذون اللغة أداة توصيل وسبيل تبادل المنافع وقضاء المصالح بين افراد المجتمع ،"فهم يرون أن الوظيفة الاساسية للغة هي أنها وسيلة من وسائل الاتصال ، او التوصيل ، او النقل أو التعبير، عن طريق الاصوات الكلامية "[23]، " او عن طريق غيرها من أدوات الاتصال فاللغة بذلك نظام من العلامات وأداة اتصال "[24]

فالملاحظ أن وظائف اللغة التسع جميعها (الوظيفة التنظيمية ،النفعية ، التفاعلية ، الشخصية ، الاستكشافية ، التخيلية ، البيانية ، التلاعب باللغة ، الشعائرة)، تدور حول التفاعل الاجتماعي او العلاقات الاجتماعية التي تربط الفرد بالجماعة ، فهي بذلك تدور في فلك الوظيفة الاجتماعية التواصل ، وفي ذلك يقول عمر عبيد حسنة : "وطالما أن اللغة في زعم بعضهم وسيلة تخاطب وتوصيل فلا يهم أن تكون اية لغة ، او اية لهجة ، او اية ترجمة ، ... ولا يهم أن تسود العاميات، لان الأصل أن يتفاهم بها الناس حتى لو كانت سببا في انقطاع الأمة عن مخزونها التراثي والتاريخي وصيدها العلمي والقاء ذاكرتها ، وتوقف النقل الثقافي بين اجيالها"[25]، وذلك كله ناتج عن علاقة التاثير بين علم اللغة وعلم الاجتماع ، كما ظهرت نظرية فيرث السياقية وعلاقتها بعلم اللغة الاجتماعي فقد سميت مدرسة كل من فيرث "ودي سوسير" بالمدرسة الاجتماعية ،حيث أسسها فيرث ، و"اشتهر برفضه كل المناهج والأساليب التقليدية في بحث اللغة ، وابتكر لنفسه منهجا يمتاز بالبعد عن كل الأفكار الفلسفية والمنطقية والنفسية ، مما يعد اجنبيا عن التفكير اللغوي الذي ارتضاه"[262]، ونظرية السياق تمثل امتداد لعلاقة اللغة بعلم الاجتماع اللغوي ، لان السياق يقوم على معطيات خارجية بالنسبة للنظام اللغوي ، فاللغة عند دي سوسير ملك للجماعة اللغوية ، ونشأت عن الاجتماع البشري ، واللسانيات الفيرثية تسعى الى أن" تمد في التحليل اللساني بعدا يجتاز المدى الذي بلغه علم اللسان الحديث "حيث تسعى الى توسيع مجال علم اللغة ليشمل المعطيات الاجتماعية المحيطة باللغة والتي يستلزمها الأداء اللغوي .

4- علم الاجتماع اللغوي وأهميته

تعد دراسة اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية ، وأحد مكونات الثقافة ، كونها حظيت بنوع من الاستقلال والاهتمام الخاص ، اذ أصبح لها علم معترف به يمزج بين اللغة والمجتمع ، حيث يشار اليه في الأوساط العلمية بمصطلح علم اللغة الاجتماعي ، وهو العلم الذي يدرس اللغة في علاقتها بالمجتمع ، وينتظم كل

جوانب اللغة وطرائق استعمالها التي ترتبط بوظائفها الاجتماعية والثقافية ، وتكمن وظيفة هذا العلم في البحث عن الكيفيات التي تتفاعل بها اللغة مع المجتمع ، والنظر في التغيرات التي تصيب بنية اللغة استجابة لوظائفها الاجتماعية المختلفة مع بيان هذه الوظائف وتحديدها ، وقد كان الفضل لعلماء اللغة في انشاء هذا الفرع الجديد من فروع علم اللغة من بينهم : دي سوسير ، وفندريس ، وفيرث وهاليداي ، ومالينوفسكي ويسبرسن وهاريس ، وغيرهم ، حيث يطمح هؤلاء الى رصد الأسس والمعايير الاجتماعية التي تحكم السلوك اللغوي ، وتوضيح موقع اللغة في الحياة الانسانية

يعود تاريخ هذا العلم البحث اللغوي بعلوم المجتمع ، وتكمن أهميته في كون هذا الفرع اللساني الاجتماعي له من الحضور المنهجي والاجرائي ما يخول له أن يستقل بنفسه لتتشكل نظرياته وأطروحاته الخاصة، فقد أسهم بشكل كبير في اعادة صياغة مفهوم اللغة ليجعلها في ارتباط مباشر مع المعطى الاجتماعي وبكامل عناصرها دون استثناء ، "ولهذا يصر علماء اللغة الاجتماعيون على دراسة الظواهر اللغوية ضمن اطار اجتماعي كلي ، ولقد أجريت دراسات على مناطق اجتماعية تعيش ثنائية لغوية انتهت الى اكتشاف العوامل التي تؤثر على تحول الشخص من لغة الى لغة اخرى ، ولقد اعتمدت تلك الدراسات على وسائل استبيان واحصاء من أجل الوصول الى العوامل الكلية الاجتماعية التي لها تأثير على اختيار الناس للغة ما ، ومن ثمة الوصول الى ايجاد نظرية تصلح لدراسة أنواع الأحداث الكلامية "[27]

ومن ناحية أخرى في علاقة هذا العلم بالعلوم الاخرى ، فانه يقدم خدمة كبيرة للتخصصات الانسانية والاجتماعية اللغوية منها وغير اللغوية ، كما الطبيعية والتجريبية ، وكل هذا في سبيل التكامل المعرفي بين العلوم ، " فقد ساهم علم اللغة الاجتماعي بدوره في حل الكثير من مشكلات التعليم والعلاقات الاجتماعية في المجتمعات المتقدمة ،لما للغة من دور فاعل في الافصاح عن العلاقات الاجتماعية والثقافية للمجتمع ، بل لعلها الوسيلة الوحيدة للافصاح عن هذه القيم وتلك العلاقات ، اضافة في عدها القناة التي يتعلم من خلالها الافراد معارفهم ويبنون بواسطتها شخصياتهم ويحققون نجاحاتهم العلمية والعملية "[28]

خاتمة

أثر علم الاجتماع في اللسانيات بشكل كبير ، وذلك من خلال اهتمام علماء الاجتماع بعلم اللغة من ناحية ، واهتمام اللسانيين واللغويين بالوظيفة الاجتماعية للغة وعدها ابرز الوظائف _ تبرز العلاقة بين اللسانيات_ العلم اللغوي الحديث الذي اكتشفه دي سوسير ، حيث غير من مجرى الدراسة اللغوية كليا اذ أصبح الاشتغال على اللغة علميا_ وبين علم الاجتماع الذي رائده دوركاي_م من خلال تاثر رائدي العلمين ببعض من ناحية الأفكار والمنهجية والتوجه الى الدراسة العلمية

_ إن دراسة اللغة من زاوية اجتماعية لم يكن وليد القرن العشرين مع ظهور النظريات الغربية وانما كانت له بوادر في التراث العربي مع كل من العلامة الكبير ابن خلدون خاصة وابن جني الذي عرف اللغة من خلال ارتباطها بالمجتمع بانها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم

_ هناك علاقة وطيدة بين اللغة والمجتمع ، أي بين اللسانيات _علم اللغة _ وبين علم الاجتماع بلغت هذه العلاقة الى حد نشوء علم حديث يميز بين العلمين وهو علم الاجتماع اللغوي أو اللسانيات الاجتماعية .

الهوامش

[1]ينظر : الخطيب البغدادي أحمد بن علي بن ثابت ،اقتضاء العلم والعمل ،تحقيق : محمد ناصر الألباني ، المكتب الإسلامي ،دمشق سوريا ، ط5 ، 1984،س 75

[2]الرازي محمد بن أبي بكر ، مختار الصحاح ، تحقيق : محمود خاطر ، مكتبة لبنان ، بيروت لبنان ، 1995، ج1، ص 586

[3]ابن منظور محمد بن مكرم بن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت لبنات ، د ط ، ج11، دت ، ص 598

[4]الأصفهاني الحسين بن محمود المعروف بالراغب ،المفردات ، تحقيق: محمد كيلاني ،دار المعرفة ، بيروت لبنان ، ط4، د ت ، ص 331

[5]ينظر : ملكاوي فتحي حسن ، مفاهيم في التكامل المعرفي ، مجلة اسلامية المعرفة ، العدد :60،2010،ص 34 _35

[6] Edgar moram,sur interdisciplinarite ,le journnal des professeurs de luniversite de M ontzea/l ,volume ;7numero3 ,2003, p10

[7] Larousse, voir le terme , discipline, www ,Larousse, fr /dictionnaire/français discipline /25818

[8]ابو الوليد ابن رشد ، مصطلح أطلقه للدلالة على الروابط الجامعة بين العلوم ، تحقيق : عبد الرحمان بدوي ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ط1 ، 1984، ص 66

[9]باي ماريو : أسس علم اللغة ، تر : أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة مصر ، ط8 ، 1998 ، ص 35

[10]ميشال زكرياء : الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ، دط ، 1983 ، ص 19

[11]ميشال زكرياء : الألسنية علم اللغة الحديث ، ص 11

[12]رنييه مونييه : المدخل في علم الاجتماع ، تر : السيد محمد بدوي ، ص 4

[13]ينظر : محمود عودة ، أسس علم الاجتماع ، دار النهضة العربية ، بيروت لبنان ، ط1 ، 1995، ص 15

[14]ابن خلدون عبد الرحمن : مقدمة ابن خلدون ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط8 ، 2003، ص 12

[15]عبد الباسط عبد المعطي ، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ، الكويت ، 1998، ص 181

[16]اسماعيل محمد الزيود ، علم الاجتماع ، دار الكنوز للمعرفة والنشر ، عمان الاردن ، ط1 ، 2010، ص 17

[17]أنيس ابراهيم : اللغة بين القومية والعالمية ، دار المعارف ، القاهرة مصر ، ط1 ، 1970 ، ص 29

[18]مدسون ، علم اللغة الاجتماعي ، تر : محمود عياد ، عالم الكتب ، مصر ، ط2 ، 1990، ص 17

[19]فندريس : اللغة ، تر : الدواخلي والقصاص ، القاهرة مصر ، ط1 ، 1950، ص 7

[20]السعران محمود : اللغة والمجتمع ورأي المنهج ، الدار العربية للكتاب ، ط 2، 1963 ، ص 36

[21]دي سوسير فرديناند : دروس في الألسنية العامة ، تعريب القرمادي واخرين ، الدار العربية للكتاب ، ط2، ليبيا وتونس ، ص 37

[22]فتيحة حداد : ابن خلدون واراؤه اللغوية والتعليمية ، مخبر الممارسات اللغوية ، الجزائر ، دط ، 2011، ص 90

[23]محمود السعران : اللغة والمجتمع ، ص 12

[24] فوزي حسن الشائب : محاضرات في اللسانيات ، وزارة الثقافة ، عمان الأردن ، ط1، 1999، ص 19

[25] عمر عبيد حسنة : تصدير كتاب الأمة ، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ، قطر ، ط1 ، 1994، العدد 42 ، ص 26

26_ خليل حلمي : دراسات في اللسانيات التطبيقية ، دار المعارف الجامعية ، الاسكندرية مصر ، دط ، 2002 ، ص 115

27 _المرجع نفسه ص 24

المراجع الأجنبية

1_Edgar moram,sur interdisciplinarité ,le journal des professeurs de luniversite de M ontzea/l ,volume ;7numero3 ,2003,

2_Larousse, voir le terme , discipline, www ,Larousse, fr /dictionnaire/français discipline /25818

3_Ibn Khaldoun Abdel Rahman: Introduction to Ibn Khaldun, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon, 8th edition, 2003.

4_ Ibn Manzur Muhammad bin Makram bin Manzur, Lisan Al Arab, Dar Sader, Beirut Labnat, d., vol. 11, dt.

5_ Abu Al-Walid Ibn Rushd, a term he used to denote the comprehensive links between sciences, investigated by: Abd al-Rahman Badawi, The National Council for Culture, Arts and Letters, Kuwait, 1st edition, 1984.

6_ Ismail Muhammad Al-Zayoud, Sociology, Dar Al-Kunuz for Knowledge and Publishing, Amman, Jordan, 1, 2010.
7_ Al-Isfahani Al-Hussein Bin Mahmoud, known as Al-Ragheb, Vocabulary, investigated by: Muhammad Kilani, Dar Al-Maarifa, Beirut, Lebanon, 4th edition, d.
8_ Anis Ibrahim: Language between nationalism and internationalism, Dar Al Maaref, Cairo, Egypt, 1, 1970.
9_ By Mario: Foundations of Linguistics, see: Ahmed Mukhtar Omar, The World of Books, Cairo, Egypt, 8th edition, 1998.
10_ Al-Khatib Al-Baghdadi Ahmed Bin Ali Bin Thabet, Implications for Knowledge and Work, investigated by: Muhammad Nasser Al-Albani, The Islamic Office, Damascus, Syria, 5th edition, 1984
11_ Khalil Helmy: Studies in Applied Linguistics, Dar Al Maaref University, Alexandria, Egypt, 2002.
12_De Saussure Ferdinand: Lessons in General Linguistics, Arabization of Al-Qarmadi and others, Arab Book House, 2nd Edition, Libya and Tunisia
13_ Al-Razi Muhammad bin Abi Bakr, Mukhtar Al-Sahah, investigation: Mahmoud Khater, Library of Lebanon, Beirut, Lebanon, 1995, vol. 1.
14_ Renee Monnier: Introduction to Sociology, see: Mr. Mohamed Badawi
15_ Abdul Basit Abdul Muti, Theoretical Trends in Sociology, The World of Knowledge Series, The National Council for Culture, Arts and Letters, Kuwait, 1998.
16_ Omar Obaid Hasna: Forwarding the Book of the Nation, Ministry of Awqaf and Islamic Affairs, Qatar, 1st Edition, 1994, No. 42.
17_Fatiha Haddad: Ibn Khaldun and his linguistic and educational views, Laboratory of Linguistic Practices, Algeria, Dtt, 2011
18__ Fenderes: Language, see: Al-Dawakhli and Al-Qasas, Cairo, Egypt, 1, 1950,
19_ Fawzi Hassan Al-Shaib: Lectures in Linguistics, Ministry of Culture, Amman, Jordan, 1st edition, 1999
20_Mahmoud Al-Saran: Language, Society, and Curriculum Opinion, Dar Al-Kitab Al-Arabiya, Alexandria, Egypt, 2nd Edition, 1963 16_
21_ Mahmoud Odeh, Foundations of Sociology, Dar Al-Nahda Al-Arabiya, Beirut, Lebanon, 1, 1995
22_ Madson, Sociolinguistics, see: Mahmoud Ayyad, World of Books, Egypt, 2nd Edition, 1990.
23_ Malkawi Fathi Hassan, Concepts in Cognitive Integration, Islamic Journal of Knowledge, Issue: 60, 2010.
24_ Michel Zakaria: Linguistics, Modern Linguistics, Principles and Flags, University Foundation for Studies, Publishing and Distribution, Beirut, Lebanon, Dtt, 1983.